أنوار المنان في توحيد القرآن

(١٣٣٠هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الأحد في ذاته. الواحد في صفاته. المتعالي بقدمه عن الحدوث وسماته. تعالى أن يتطرق الحدوث إلى مسمى لكلامه أو مصداق لآياته. أو يكون لكلامه تجدّد بتجدّد تجلّياته. أو تعدّد بتعدّد كسواته. هو الذي أنزل كلامه القديم على سيد بريّاته. وخاتم رسله وأوّل مخلوقاته، عليه وعلى آله وصحبه وذرياته. أفضل صلواته. وأكمل تسليماته. وأزكى تحيّاته. وأنمى بركاته. فتجلّى القرآن في الأذهان، و الآذان، والورق واللسان، والزمان والمكان، وما انفصل عن الرحمن، ولا اتصل بالأكوان، في شيء من حضراته، حدثت القلوب والأسماع واللسن واليراع، وتحولت الأحوال وتبدّلت الأوضاع، والقرآن كما كان على قدمه وثباته.

اعلم أن العلماء الكرام جعلوا لوجود الشيء أربع مراتب: **وجود في الأعيان**، كما لزيد الموجود في الخارج، **و وجود في الأذهان**، وهو حصول صورة زيد التي هي مرآة ملاحظته في الذهن، **و وجود في العبارة**، كأن تقول بلسانك "زيد" فإن الإسم عين المسمى - و في مسند أحمد، وسنن ابن ماجة، وصحاح الحاكم وابن حبان [١] عن أبي هريره رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى

---

١ وقع في الفصل الثالث من المشكوة عزوه للبخاري، وأقره عليه القاري، و عزاه الإمام الشعراني في أو اخر البحث الثالث والعشرين من اليواقيت والجواهر لمسلم، و لم أره له، والله تعالى أعلم - اهـ - منه.

عليه وسلم عن ربه عزّوجلّ : أنا مع عبدي إذا ذكرني وتحرّكت بي شفتاه. **ووجود في الكتابة**، كما إذا كتب "زيد". قال تعالى : يَجِدُوْنَه مَكْتُوْبًا عِنْدَهُمْ فِيْ التَّوْرَيةِ وَالْاِنْجِيْلِ. يعني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم.

وظاهر أن هذين النحوين الأخيرين بل الثاني أيضا ليست في عامة الأعيان وجودا لشيء بنفسه، فإن الحق حصول الأشياء بأشباحها لا بأنفسها. **أقول** : وهذا هو عندي حقيقة إنكار أئمتنا المتكلمين الوجود الذهني، أي إن الشيء ليس في الذهن بل شبحه، وحمله الإمام الرازي على إنكار كونه علما.

أقول : وهو أيضا حق، فإن العِلم عندنا - كما نصّ عليه إمام السنّة علم الهدى أبو منصور الماتريدي قدس سره - هي الحالة الإنجلائية دون الصورة الحاصلة، وعليه المحققون من المتفلسفين، والسيد الزاهد، وبحر العلوم من المتأخرين، وإن كان جمهور جهلة المشائين على القول بالصورة مشائين.

فهذا مراد أصحابنا، ثم ذهب به المتأخرون إلى ما ذهبوا، وإلا فإنكار قيام معانٍ بالأذهان، مما لا يعقل عن عاقل فضلا عن أولائك أساطين العلم والعرفان.

لكن عقيدة أئمتنا السلف الحقة الصادقة أن هذه الأنحاء الأربعة كلها مواطن وجود القرآن العظيم حقيقة وحقا، ومجالي شهود الفرقان الكريم تحقيقا و صدقا. فالقرآن الذي هو صفة قديمة لحضرة العزة عز جلاله، وقائم أزلا و أبدا بذاته الكريمة، مستحيل الإنفكاك عنه، ولا هو ولا غيره، ولا خالق ولا مخلوق، هو بعينه المقرو بلساننا، المسموع بآذاننا، المكتوب في سطورنا، المحفوظ في صدورنا، والحمد لله رب العلمين. لا أنه شيء آخر غير القرآن، دالا على القرآن، كلا. بل كلها تجلّياته، وهو المتجلي فيها حقيقة، من دون أن ينفصل عن الذات الإلهية، أو

يتصل بشيء من الحوادث، أو يكون له حلول فيه، أو يصيب ذيل قدمه شِيَة من حدوث تلك الكسوات، أو يتطرق إليه تعدّد بتعدّد الجلوات، كما قلت :

أتجدُّد الملابس مغيّرٌ للابس

وقلت : شمسٌ وراء مدارك الوطواط فعليكَ بالإيمان لا الإبعاط. [٢]

وهذا سيدنا جبريل، عليه الصلاة بالتبجيل، رآه عدوّ الله أبو جهل، في صورة فحل، وقد صال عليه، وله ناب وهامة لم ير مثلها حتى نكص عدوّالله على عقبيه، فهل يسوغ لأحدأن يزعم أنه لم يكن جبريل، وإنما كان شيء آخر يدل على جبريل؟ حاش لله. بل كان جبريل يقينا. و في نفس الحديث عنه صلى الله تعالى عليه وسلم : قال ذاك جبريل لو دنا مني لأخذه. رواه ابن اسحاق، وأبو نعيم، والبيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما - وإن كنا نعلم أيضا باليقين أن صورة جبريل الجميلة ليست الصوره الجَمَليّة، بل له ستّ مائة جناح قد سد الأفق.

و رأى الصحابة رضي الله تعالى عنهم في مسيرهم إلى بني قريظة دحْية بن خليفة متوجها إليهم على بغلة بيضاء، فأخبروا به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال كما في الحديث : ذاك جبريل بعث إلى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم، ويقذف الرعب في قلوبهم - وحديث أعرابي أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يسأله عن الإيمان والإسلام والإحسان والساعة وأشراطها، لم يعرفه أحد، ولا يرى عليه أثر سفر، شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، وقوله صلى الله تعالى عنيه

---

٢ الإبعاط : الغلوّ في الجهل، وفي الأمر القبيح، والقول على غير وجه، وتجاوز المقدار، كما في ق - اهـ - منه.

وسلم : إنه جبريل أتاكم يعلّمكم دينكم. معروف مشهور، وقد ثبت غير مـــرة إتيانه إليه صلى الله تعالى عليه وسلم في صورة دحية الكلبي رضي الله تعالى عنـــه وعلى جبريل الصلاة والسلام -- فللنسائي بسند صحيح عن ابن عمر رضـي الله تعالى عنهما : كان جبريل ياتي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في صورة دحيـة الكلبي -- ورواه الطبراني عن أنس رضي الله تعالى عنه مرفوعا أنه صلى الله تعـلى عليه وسلم قال : كان جبريل ياتيني على صورة دحيةالكلبي -- وفي الباب عــن أمهات المؤمنين عائشة وأم سلمة رضي الله تعالى عنهما.

ولا يسوغ لمسلم أن يشك في كونه جبريل، مع القطع بأن جبريل ليـــس أعرابيا، ولا كلبيا. فما هو إلا أنها تجليات جبريل بتلك الصور المختلفة، لم يتعـدّد بتعدّدها جبريل. ٣

ولا يمكن أن يقال إن هذه كانت أشياء أخر غير جبريل تدل عليـــه. وفي ذلك أقول

شعر

أجـبـريـلٌ مـن السدرة وآخـرُ جـاء من قرية
وثالـثهم غَـدا جـمـلا ورابعهـم غـدا دحية
فمنهم مـن لـه ذنَـب ومـنهم مـن له لِحْية
وهـذا بـاطـل قـطـعـا فلا يـرضـاه ذو نُهْيـة
ومـَعْ ذا وحـدة الـكـلّ يـقينٌ مـا بـه مِـرْيـة
هو الـعادي على الـغـاوي هو الموحـي بـلا فِرْية

فهذا ما أفاده البرهان، و وراءه طور لأهل العرفان، فأهل الحقائق

٣ انخرقت وسقطت هنا قطعة ورق، فذهب نحو سطر من الأصل ١٢ محمد أحمد.

أدرى بهذه الدقائق، وعلينا التسليم والإذعان.

قال الله عزّوجلّ : وَإِذا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوْا لَه وَأَنْصِتُوْا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُوْن.

وقال تعالى : لاَ تُحَرِّكْ بِه لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِه. اِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَه وَقُرْءانَه. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَه.

وقال تعالى : فَاقْرَؤُا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ.

وقال تعالى : فَأَجِرْهُ حَتّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ.

وقال تعالى : وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّدَّكِرٍ.

وقال تعالى : بَلْ هُوَ ءايتٌ بَيِّنتٌ فِيْ صُدُوْرِ الَّذِيْنَ اُوْتُوْا الْعِلْمَ.

وقال تعالى : وَاِنَّه لَفِيْ زُبُرِ الْاَوَّلِيْنَ.

وقال تعالى : فِيْ صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ مَّرْفُوْعَةٍ مُّطَهَّرَة.

وقال تعالى : بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيْدٌ فِيْ لَوْحٍ مَّحْفُوْظ.

وقال تعالى : اِنَّه لَقُرْاٰنٌ كَرِيْمٌ فِيْ كِتبٍ مَّكْنُوْنٍ. لاَ يَمَسُّه اِلاَّ الْمُطَهَّرُوْن.

وقال تعالى : نَزَلَ بِهِ الرُّوْحُ الْاَمِيْنُ. عَلى قَلْبِكَ لِتَكُوْنَ مِنَ الْمُنْذِرِيْنَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِيْنٍ. -- إلى غير ذلك من الآيات.

فانظروا إياه جعل مقروّا. وإياه جعل مسموعا، وإياه جعل محفوظا، وإياه جعل مكتوبا. وفيه قال إنه القرآن، وإنه كلام الرحمن.

قال سيدنا الإمام الأعظم رضي الله تعالى عنه في "الفقه الأكبر" :

القرآن في المصاحف مكتوب، وفي القلوب محفوظ، وعلى الألسن مقروّ، وعلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم منزّل، ولفظنا بالقرآن مخلوق، وكتابتنا له، وقراءتنا له مخلوق، والقرآن غير مخلوق - اهـ -

وقال رضي الله تعالى عنه في وصاياه : نقرّ بأن القرآن كلام الله تعـــالى، و وحيه، و تنزيله، وصفته، لا هو ولا غيره، بل هو صفته على التحقيق، مكتـوب في المصاحف، مقروّ بالألسن، محفوظ في الصّدور، غير حالّ فيها (إلى قوله رضـي الله تعالى عنه) والله تعالى معبود، و لا يزال عما كان، وكلامه مقــروّ، ومكتـوب، ومحفوظ من غير مزايلة عنه -اهـــ -

وقال العارف بالله سيدي العلامة عبد الغني النابلسي الحنفي قدس ســره القدسي في المطالب الوفية : لا تظنّ أن كلام الله تعالى **اثنان** : هذا اللفظ المقروّ و **الصفة القديـــمة**، كما زعم ذلك بعض من غلبت عليه اصطلاحات الفلاســـفة والمعتزلة، فتكلم في كلام الله تعالى بما أدّى إليه عقله، **وخالف إجمـــاع السلف الصالحين** رضي الله تعالى عنهم على أن كلام الله تعالى واحد، لا تعدّد له بحـــال، وهو عندنا وهو عنده تعالى. وليس الذي عندنا غير الذي عنده، ولا الذي عنــده غير الذي عندنا، بل هو صفة واحدة قديمة موجودة عنده تعالى بغير آلة لوجودهـا، وموجودة أيضا عندنا بعينها لكن بسبب آلة هي نطقنا وكتابتنا وحفظنا، فمـــتى نطقنا بهذه الحروف القرآنية وكتبناها وحفظناها كانت تلك الصفة القديمة القائمـة بذات الله تعالى، التي هي عنده تعالى هي عندنا أيضا بعينها، من غير أن تتغيّر مــن أنها عنده تعالى ، ولا انفصلت عنه تعالى، ولا اتصلت بنا، وإنما هي على ما عليــه قبل نطقنا وكتابتنا وحفظنا -- إلى آخر ما أطال وأطـــاب. عليـــه رحمـــةالملك الوهاب.

وقال قدس سره في النوع الأول من الفصل الأول من البـــاب الأول مـــن الحديقة الندية : إذا علمت هذا ظهر لك فساد قول من قال : إن كلام الله تعـــالى مقول بالإشتراك الوضعي على معنيين الصفة القديمة، والمؤلـــف مـــن الحـــروف

والكلمات الحادثة. فإنه قول يؤل إلى اعتقاد الشرك في صفات الله تعالى، وإشارة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هنا في هذا الحديث (أي حديث ان هذا القرآن طرفه بيد الله تعالى، وطرفه بأيديكم. رواه ابن أبي شيبة، والطبراني في الكبير عن أبي شريح رضي الله تعالى عنه) إلى القرآن تفيد أنه واحد لا تعدّد له أصلا، وهو الصفة القديمة، وهو المكتوب في المصاحف، المقروء بالألسنة، المحفوظ في القلوب، من غير حلول في شيء من ذلك، ومن لم يفهم هذا على حسب ما ذكرنا لصعوبته عليه يجب عليه الإيمان به بالغيب، كما يؤمن بالله تعالى وبباقي صفاته سبحانه وتعالى، ولا يجوز لأحد أن يقول بحدوث ما في المصاحف والقلوب والألسنة. -- إلى آخر ما أفاد و أجاد. عليه رحمة الملك الجواد.

وقال الإمام الأجلّ العارف بالله تعالى سيدي عبد الوهاب الشعراني الشافعي قدس سره الرباني في كتابه ميزان الشريعة الكبرى: قد جعله (أي المكتوب في المصحف) أهل السنّة والجماعة حقيقة كلام الله تعالى، وإن كان النطق به واقعا منا، فافهم. وأكثر من ذلك لا يقال، ولا يسطر في كتاب. اهـ -

وقال في المبحث السادس عشر من اليواقيت والجواهر في عقائد الأكابر: مثال ظهور الوحي بالألفاظ مثال ظهور جبريل عليه الصلاة والسلام في صورة دحية، فإن جبريل لم يكن حين ظهر فيها بشرا محضا ولا ملكا محضا، ولا كان بشرا وملكا معا في حالة واحدة، فكما تبدّلت صورته في أعين الناظرين و لم تتبدّل حقيقته التي هو عليها، فكذلك الكلام الأزليّ والأمر الأحديّ يتمثل بلسان العربي تارة، والعبري تارة، والسرياني أخرى، وهو في ذاته أمر واحد أزلي. الخ.

وقال سيدي محي الدين رضي الله تعالى عنه في باب الأسرار من فتوحاته: لو حلّ بالحادث القديمُ لصحّ قول أهل التجسيم. القديم لا يحلّ ولا يكون محلا،

ذكر القرآن أمان، وبه يجب الإيمان، إنه كلام الرحمن، مع قطع حروفه في اللسان، ونظم حروفه فيما رقم باليراع والبنان، فحدثت الألواح والأقلام، وما حدث الكلام. وحكمت على العقول الأوهام. اهـ-

وفي شرح الفقه الأكبر المنسوب إلى إمام السنّة علم الهدى أبي منصور الماتريدي رحمه الله تعالى. والله تعالى أعلم به : الكلام لا يوصف بالمزايلة، بظهور المكتوب في المصاحف، ولسنا نقول إن الكلام حالّ في المصاحف، حتى يكون قولا بالمزايلة، يدل عليه أنه لو لم يكن المكتوب كلام الله تعالى لكان الكلام معدوما فيما بين العباد. فيؤدّي إلى تفويت خطاب الله تعالى - اهـ -

وفي الإبانة عن أصول الديانة، المنسوبة نسختها إلى إمام السنّة أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالى، والله تعالى أعلم بها: إن قال قائل حدّثونا أتقولون إن كلام الله تعالى في اللوح المحفوظ؟ قيل له كذلك نقول لأن الله عزّوجلّ قال : بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مّجِيْدٌ فِيْ لَوْحٍ مَّحْفُوْظ. فالقرآن في اللوح المحفوظ، وهو في صدور الذين أوتوا العلم. قال الله عزّوجلّ : بَلْ هُوَ ايَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِيْ صُدُوْرِ الَّذِيْنَ اُوْتُوْا الْعِلْمَ. وهو متلوّ بالألسنة، قال الله تعالى : لاَ تُحَرِّكْ بِه لِسَانَكَ. والقرآن مكتوب في مصاحفنا في الحقيقة، محفوظ في صدورنا في الحقيقة، متلوّ بألسنتنا في الحقيقة، مسموع لنا في الحقيقة، كما قال عزّوجلّ : فَاَجِرْهُ حَتّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ. وإنما قال قوم "لَفظُنَا بالقرآن" ليثبتوا أنه مخلوق، ويزيّنوا بدعتهم وقولهم بخلقه، فدلّسوا كفرهم على من لم يقف على معناهم، فلما وقفنا على معناهم أنكرنا قولهم، ولا يجوز أن يقال إن شيئا من القرآن مخلوق، لأن القرآن بكما له غير مخلوق. اهـ باختصار.

وقال الإمام النسفي كما نقل عنه في المطالب الوفيّة : القرآن كلام الله تعالى وصفته، والله تعالى بجميع صفاته واحد قديم، غير محدَث ولا مخلوق، بلا حرف، ولا صوت، ولا مقاطع، ولا مبادي، لا هو ولا غيره، وهو مقروء بالألسن، محفوظ في القلوب، مكتوب في المصاحف، وليس بموضوع في المصاحف. الخ.

وقال شارح عقيدة الطحاوي، كما أثر عنه في منح الروض الأزهر: من قال إن المكتوب في المصاحف عبارة عن كلام الله تعالى، أو حكاية كلام الله تعالى، وليس فيها كلام الله تعالى فقد خالف الكتاب والسنّة، وسلف الأمّة. اهـ -

وقال في كنز الفوائد شرح بحرالعقائد : لا يلزم من الظهور في صورة أن يكون ذا صورة، ألا ترى أن كلامه النفسي ظهر في الكتابة، واللفظ، والمخيلة، مع كونه ليس له من صور ظهره شيء. اهـ -

وقال في جمع الجوامع : القرآن هو كلامه تعالى، القائم بذاته تعالى، غير مخلوق، وهو مع ذلك أيضا على الحقيقة لا المجاز مكتوب في مصاحفنا، محفوظ في صدورنا، مقروء بألسنتنا. اهـ -

وتدارك الله بنعمته عبديه القاضي عضدالدين صاحب المواقف، والعلامة السيد الشريف شارحها. فالأول صنف في المذهب الحق مقالة مستقلة تبع فيها إجماع السلف، والثاني أيده و قوّي عضده في شرح المواقف، مع مشايعتهما في المواقف وشرحها لأولئك الأحداث.

قال السيد قدس سره : واعلم أن للمصنف مقالة مفردة في تحقيق كلام الله تعالى على وفق ما أشار إليه في خطبة الكتاب. ومحصولها أن لفظ المعنى يطلق تارة

على مدلول اللفظ، وأخرى على الأمر القائم بالغير، فالشيخ الأشعري لما قال الكلام هو المعنى النفسي فهم الأصحاب منه أن مراده مدلول اللفظ وحده، وهو القديم عنده، أما العبارات فإنما تسمى كلاما مجازا، لدلالتها على ما هو كلام حقيقي، حتى صرّحوا بأن الألفاظ حادثة على مذهبه أيضا، لكنها ليست كلامه حقيقة. وهذا الذي فهموه من كلام الشيخ له لوازم كثيرة فاسدة، كعدم إكفار من أنكر كلامية ما بين دفّتي المصحف، مع أنه علم من الدين ضرورة كونه كلام الله تعالى حقيقة، وكعدم المعارضة والتحدّي بكلام الله الحقيقي، وكعدم كون المقروء والمحفوظ كلامه حقيقة إلى غير ذلك مما لا يخفى على المتفطن في الأحكام الدينية، فوجب حمل كلام الشيخ على أنه أراد به المعنى الثاني، فيكون الكلام النفسي عنده أمرا شاملا للفظ والمعنى جميعا، قائما بذات الله تعالى، وهو مكتوب في المصاحف، مقروء بالألسن، محفوظ في الصدور، وهو غير الكتابة والقراءة والحفظ الحادثة، وما يقال من أن الحروف والألفاظ مترتبة متعاقبة فجوابه أن ذلك الترتب إنما هو في التلفظ، بسبب عدم مساعدة الآلة، فالتلفظ حادث، والأدلة الدالة على الحدوث يجب حملها على حدوثه، دون حدوث الملفوظ، جمعا بين الأدلة، وهذا الذي ذكرناه وإن كان مخالفا لما عليه متأخرو أصحابنا إلا أنه بعد التأمل تعرف حقيقته - تم كلامه. وهذا المحمل لكلام الشيخ مما اختاره الشيخ محمد الشهرستاني في كتابه المسمى بنهاية الأقدام، ولا شبهة في أنه أقرب إلى الأحكام الظاهرية المنسوبة إلى قواعد الملة. اهـ -

وقال رحمه الله تعالى في خطبة المواقف : وأنزل معه صلى الله تعالى عليه وسلم كتابا عربيا مبينا، فأكمل لعباده دينهم وأتم عليه نعمته ورضي لهم الإسلام

دينا، كتابا كريما، وقرآنا قديما، ذا غايات و مواقف، محفوظا في القلوب مقروء بالألسن مكتوبا في المصاحف. الخ.

قال السيد قدس سره : وصف القرآن بالقدم، ثم صرح بما يدل على أنه هذه العبارات المنظومة كما هو مذهب السلف، حيث قالوا : إن الحفظ والقراءة والكتابة حادثة، لكن متعلقها أعني المحفوظ والمقروء والمكتوب قديم، وما يتوهم من أن ترتب الكلمات والحروف، وعروض الانتهاء والوقوف مما يدل على الحدوث فباطل. لأن ذلك لقصور في آلات القراءة. وأمّا ما اشتهر عن الشيخ أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالى من أن القديم معنى قائم بذاته تعالى قد عبر عنه بهذه العبارات الحادثة فقد قيل إنه غلط من الناقل، مَنشؤه اشتراك لفظ المعنى بين ما يقابل اللفظ وبين ما يقوم بغيره، وسيزداد ذلك وضوحا فيما بعد إن شاء الله تعالى. اهـ

قال الحسن حلبي : إن الشارح سيحقق ما عليه المصنف في أثناء بحث الكلام حسب ما أشعر به كلامه ههنا أنه يوافق السلف، وعليه نص في شرح المختصر. اهـ

وقال في أول المقصد السابع في أنه تعالى متكلم : الثابت بالشرع كونه صفة له تعالى قائما به على ما هو رأي السلف في الكلام اللفظي. الخ.

وارتضاه أيضا بحر العلوم أبو العياش عبد العلي في فواتح الرحموت إذ قال بعد إيراد الإشكال على تعدّد القرآن بأن إطلاق الكلام على النفسي مجاز، وعلى اللفظي حقيقة. أو بالعكس. أو حقيقة فيهما. على الأول يلزم أن يكون ما هو كلام الله تعالى حقيقة مخلوقا حادثا، و ما هو غير مخلوق ليس كلام الله تعالى حقيقة لما قالوا : إن اللفظي حادث،

والنفسي قديم - و على الثاني أن لا يكون هـــذا المقـروء كـــلام الله حقيقـــة، هذا وإن التزم لكن لا يجترؤ عليه مسلم - وعلى الثـــالث يلـــزم أن لا يؤاخـــذ من قال إن القرآن غير منزل من الله تعـــالى، لأنـــه صـــادق إن أراد النفســـي، والإرتداد لا يثبت بالشبهة مع أنه تواتر عـــن الصحابـــة والتـــابعين المؤاخـــذة بهذا القول، وحكمهم بالقتل. فإذن الحق الصـــراح الـــذي يفـــترض أن يعتقـــد ما نقل عن صاحب المواقف أن هذا المقروء كـــلام الله تعـــالى حقيقـــة، وهـــو صفة بسيطة قائمة بذاته تعـــالى، ولـــه تعلقـــات بالإخبـــارات والإنشـــاءات، وبحسبها يكون إنشاء وخبرا، و هي صفة قديمة غـــير مخلوقـــة كمـــا في ســـائر الصفات، وهو المنزل على الرسول صلى الله تعـــالى عليـــه وســـلم، وإذا صـــدر على اللسان بالحركة صارت ذات أجـــزاء لعـــدم مســـاعدة اللســـان بـــالتكلم بالكلام البسيط، والظاهر يختلـــف بـــاختلاف المظـــاهر، ولا اســـتبعاد فيـــه، فالكلام الإلهي صفة واحدة قائمة بذاته تعالى، تختلف تعيناتـــه بالمحـــال، وهـــي في حد ذاتها قديمة، فإذا نزل على لسان جبريل كســـاها تعينـــات بها صـــارت مرتبة، فإذا قرأ جبريل غير قارة فسمعه الرســـول فـــانحفظت في صـــدره كمـــا سمع مرتبة لكن على صفة القرار، فالحقيقة واحدة وظـــهوراتها مختلفـــة، فطـــورا تظهر بكسوة، وأخرى بأخرى، وظهور شـــيء واحـــد بتعينـــات شـــتى غـــير منكر، هذا هو الذي رامه الإمام الهمام أعظم الأئمـــة حيـــث قـــال في الفقـــه الأكبر (ونقل ما قدمنا ثم قال) أراد باللفظ التلفظ وهـــو فعلنـــا مخلـــوق ألبتـــة، أو أراد به كسوة التعين الذي اكتساه القـــرآن علـــى اللســـان، وهـــو أيضـــا مخلوق لا شك فيه. واللام في قوله ''القرآن غير مخلـــوق'' للعـــهد، أي القـــرآن الذي صفته أنه مكتوب ومحفوظ ومنزل و مقروء غير مخلـــوق في حـــدّ نفســـه،

وإن كان تعيّناته التي في الكتابة والقراءة و الحفـــظ والــترول مخلوقـــة. وقـــال ذلك الإمام أيضا فيه بعد تلك العبارة الشريفة : وسمع موســـى كلامـــه، قـــال الله تعالى : وَكَلَّمَ اللهُ مُوْسى تَكْلِيْمًا. و قد كان الله تعـــالى متكلمـــا و لم يكـــن كلم موسى، فلما كلم موسى، كلمه بكلامه الذي هـــو لـــه صفـــة في الأزل - - وهذا الكلام منه رضي الله تعالى عنه نـــص في أن الكـــلام القـــديم و المـــترل واحد، وقـــال أيضـــا : و يتكلـــم لا ككلامنـــا، ونحـــن نتكلـــم بـــالآلات والحروف، والله تعالى متكلم بلا آلة ولا حـــرف، والحـــروف مخلوقـــة وكـــلام الله تعالى غير مخلوق -- وهذا لأن الحروف إنما هي نحومـــن أنحـــاء التعينـــات التي اكتساها الكلام عند التلفظ، ولا شـــك أنهـــا مخلوقـــة (ثم ذكـــر كلامـــه رضي الله تعالى عنه في وصاياه ثم قال) ومثلها من غـــيره مـــن الأئمـــة أيضـــا، وما قال محققو الحنابلة ونقلوه عن الحبر الهمام الإمام أحمد بـــن حنبـــل رضـــي الله تعالى عنه أن القرآن الذي هو غير مخلـــوق هـــو هـــذه الألفـــاظ المقـــروّة مرادهم ما ذكرنا. والذين جاءوا منهم مـــن بعدهـــم لم يتعمقـــوا في تحصيـــل معناه ظنوا أن هذه الحروف بهذا الترتيب قديمة، حتى توجّـــه الطعـــن إليـــهم - وفي تمهيد الشيخ عبد الشكور [4] السالمي أيضا ما يفي بـــه هـــذا مـــا أعطينـــاك إجمالا، لما لا يرخص التقصير عن إبانة الحق في مثـــل هـــذا المطلـــب العظيـــم، فإنه قد اختار ذلك الإمام الهمام أحمد بن حنبل بذل نفسه فيـــه، وقـــال ذلـــك العارف بالله الإمام الهمام داود الطائي : لقد قام أحمـــد مقـــام الأنبيـــاء عليـــهم الصلاة والسلام. اهـــ - مختصـــرا.

---

٤ كذا في نسخة الطبع وصوابه أبو شـــكور - ١٢ - منـــه.

أقول : وفيما نقله عن صاحب المواقف نوع مخالفة لما نقله السيد عن مقالته، كما سنشير إليه إن شاء الله تعالى، ولا يضر، فإن مرادنا وهو وحدة كلام الله تعالى وبطلان تقسيمه إلى نفسي قديم ولفظي حادث، حاصل على الوجهين.

وما ذكر من الشقوق أن الكلام حقيقة في اللفظي، أو النفسي، أو فيهما **فأقول** : لها رابع، وهو أنه مشترك فيهما اشتراكا معنويا، فحقيقة في معنى يعمهما، واختاره ابن الهمام في المسايرة، قائلا : إنه الأوجه. وأقره عليه تلميذاه العلامتان ابنا قطلوبغا وأبي شريف، ويرد عليه ما ورد عليها، لأن إطلاق العام على الخاص غير بعيد ولا مستنكر، بل هو حقيقة ما لم يرد به الخاص من حيث الخصوص، كما بين في شرح التلخيص - والشق الأول لم أعلم من ذهب إليه منا - والثاني استظهره القاري في منح الروض بعد ما جعل الثالث تحقيقا، تبعا للتفتازاني - ونسبه هو في الزبدة شرح البردة لقدماء المشايخ. قال : ولهذا عرفوه بأنه صفة تجلّت في مظهر الحروف، فباعتبار المظهر حادث، و باعتبار الصفة قديم. اهـ

أقول : هذا كلام من وراء حجاب، فإن الأمر إذا كان بالتجلي في المظاهر وهو مذهب الأئمة القدماء قطعا، فالمتجلي لا تعدد له أصلا، فلا تجوّز ولا اشتراك - وكثير منهم تردّدوا في الشقين الأخيرين، كالإمام عبد العزيز البخاري في كشف الأسرار، وفي غاية التحقيق، والتفتازاني في شرح المقاصد، وجزم بالثالث الإمام صدر الشريعة في التوضيح، وتبعه التفتازاني في شرح العقائد، وحكم أنه التحقيق، وتبعه القاري في المنح، والسنوسي في شرح متنه أم البراهين، وزعم في الزبدة أن هذا هو المشهور

وِ المذهب المنصور. بنى عليه التفتازاني ثم القاري التخلص عما أورد على الثاني من صحة نفي كلام الله تعالى عن النظم المنزل والإجماع على خلافه. أي فإذا صار حقيقة فيهما لم يصح النفي عن شيء منهما.

أقول : بل صح الآن النفي عن كل منهما، كما يصح الإثبات لكل، فإنه بهذا المعنى منتف عن ذاك، وبذاك عن هذا، والبناء على عموم المشترك مطلقا كما عن الإمام الشافعي، أو في خصوص النفي كما عن بعض الحنفية، واختاره في التحرير لا يمنع صحته على المذهب المنصور، علا أن الأشبه أن التعميم تجوز فلا يمنع الحقيقة، ولو سلم فلا يوجب تفسيقا فضلا عن تضليل، وهو أيضا خلاف الإجماع.

وبالجملة فلا محيد إلا القول بالتوحيد، أي أن كلام الله تعالى واحد حقيقي لا تعدّد فيه أصلا، فهو هو في جميع المحال...... [5] أو التجوز، أوالا شتراك، فإن الكل فرع التعدد، هذا.

وقال - أعني العضد رحمه الله تعالى - في متن عقائده : القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق. وهو المكتوب في المصاحف، المقروء بالألسن، المحفوظ في الصدور. والمكتوب غير الكتابة، والمقروء غير القراءة، والمحفوظ غير الحفظ. اهـ. أي فالكتابة والقراءة والحفظ حوادث قطعا، لأنها أفعالنا، وأفعال العباد كلها حادثة مخلوقة لله تعالى، لا كما ينسب إلى جهلة الحنابلة مما يعاند البداهة والدين معا. وكذا سَمْعُنا إياه حادث

---

5 في الأصل انقطع الورق هنا وسقطت كلمات ١٢ محمد أحمد

ضرورة، والمكتوب المقروء المحفوظ المسموع هو القرآن القديم القائم بذاته تعالى.

وبمثله صرح الإمام الأجلّ مفتي الجن والإنس نجم الدين عمر النسفي قدس سره في متن عقائده فقال : والقرآن كلام الله تعالى غير مخلوق، وهو مكتوب في مصاحفنا، محفوظ في قلوبنا، مقروء بألسنتنا مسموع بآذاننا غير حالّ فيها. اهـ.

والعلامة التفتازاني في شرحه حوّله إلى ما ارتكز في ذهنه بتاويلات بعيدة، ونقل كلام المحقق العضد فاستجوده ثم حاد عنه معترفا بأنه لا يبلغه عقله إذ يقول : ذهب بعض المحققين إلى أن المعنى في قول مشايخنا "كلام الله تعالى معنى قديم" ليس في مقابلة اللفظ، بل ما لا يقوم بذاته كسائر الصفات، ومرادهم أن القرآن اسم اللفظ والمعنى وهو قديم، لا كما زعمت الحنابلة من قدم النظم المؤلف المرتب الأجزاء، فإنه بديهي الاستحالة، بل اللفظ قائم بالنفس كالقائم بنفس الحافظ من غير تقدّم البعض على البعض، والترتب إنما يحصل في القراءة لعدم مساعدة الآلة. هذا حاصل كلامه. وهو جيد لمن يتعقل لفظا قائما بالنفس، غير مؤلف من الحروف المنطوقة أو المخيلة المشروط وجود بعضها بعدم البعض، ونحن لا نتعقل من قيام الكلام بنفس الحافظ إلا كون صور الحروف مخزونة مرتسمة في خياله. بحيث إذا التفت إليها كانت كلاما مؤلفا من ألفاظ متخيلة، وإذا تلفظ كانت كلاما مسموعا، اهـ ببعض تلخيص.

أقول : هذا إنما نشأ عن قوله بقدم الحروف وقيامها مرتبة معا لا على سبيل التعاقب المقتضي للتقضي بالذات العلية، وهو أحد قولين. ولا

استحالة فيه على هذا الوجه، وبه يندفع إيراد الخيالي بعدم الفـرق بـين "لمـع و ملع". وقد نقل الشهر ستاني إجماع السـلف عليـه.

قال العلامة قاسم في تعليقاته على المسايرة نقلا عـن ابـن تيميـة : إن حروف القرآن التي هي لفظه قبل أن يترل بها جبريل عليـه الصـلاة والسـلام من قال إنها مخلوقة فقد خالف إجماع السلف، فانـه لم يكـن في زمـانهم مـن يقول هذا إلا الذين قالوا القرآن مخلـوق. فـإن أولئـك إنمـا عنـوا بـالخلق الألفاظ، فأما ما سوى ذلك (يريد الكلام النفسـي) فـهم لا يقـرون بثبوتـه، لا مخلوقا ولا غير مخلوق. وقد اعترف غير واحد مـن فحـول أهـل الكـلام بهذا، منهم عبد الكريم [٦] الشهرستاني مع خبرته بـالملل والنحـل، فانـه ذكـر أن السلف مطلقا ذهبوا إلى أن حروف القرآن غـير مخلوقـة، وقـال ظـهور القول بحدوث الحروف محدث، وقد ذكر مذهب السـلف في كتابـه المسـمى بنهاية الأقدام. اهـ -

أقول : إن كان هذا منقولا عنهم نصـا فـذاك. ولا إخالـه كـذاك. فإنهم كانوا برءاء عن التعمق، وأبعد شيء عـن الخـوض في كنـه الصفـات الإلهية. وقد جاء في الحديث عن نبيهم صلى الله تعالى عليـه وسـلم :

تفكّروا في الخلق، ولا تتفكّـروا في الخـالق.

رواه أبوا لشيخ في العظمة، وأبو نعيـم في الحليـة عـن ابـن عباس رضي الله تعالى عنهما. وزاد أبو الشـيخ :

فإنكم لا تقدرون قـدره.

---

٦ كذا في نسخة الطبع، وصوابه محمد بن عبد الكريم -اهـ- منه.

وهو له وللطبراني في الأوسط، وابن عـــدي في الكـــامل، والبيـــهقي في الشعب عن ابن عمر رضي الله تعالى عنـــهما بلفـــظ :

تفكروا في آلاء الله ولا تتفكـــروا في الله.

وله عن أبي ذرّ رضي الله تعالى عنـــه بلفـــظ :

تفكروا في خلق الله، ولا تتفكـــروا في الله، فتـــهلكوا.

وإن أُخذ عن إنكارهم على القائلين بالخلق بل إكفارهم إياهم وأولئك مـــا عنوا إلا اللفظ إذ لم يعرفوا سواها كما قال ابن تيمية فلايتم، بل باطل منقـــوض بالأصوات. فما تعرف العامة من الحروف إلا إياها، وهي كما تقدم تشـــكلات وكيفيات قائمة بالهواء. فلا يسوغ لمسلم أن يشك في حدوثها، بل هي أحـــدث منا، إذ تحدث بفعلنا، فينجر إلى مذهب جهلة المتأخرين من الحنابلة. وإلا فمـــتى صرح القائلون بالخلق أن كلامهم في حروف متعالية عن التعاقب والترتب بريئـــة عن الأصوات والتشكلات؟ بل متى ذهب وهمهم إليها؟

وكأنّ ابن تيمية أراد به نصر أولئك الجهلة من الحنابلة، إذ هو أيضا منهم. وليس فيه ما يقر عينه وأعينهم، فإنما أنكروا وأكفروا لأن القرآن العظيـــم شـــيء واحد لا تعدد فيه أصلا. وهو المتجلي في هذه الكسوات، فمن حكم عليه بشـــيء في هذا التعين فقد حكم به على ذاته، إذ هو هو لا غيره، كمن يحكم أن الـــذي صال على أبي جهل كان ولد ناقة خلق من ضراب فحل فقد حكم بهذه الشـــنعة على رسول الله الروح الأمين، إذ هو الصَّائل لا غير، فإن لم يكن المحل محل الشـــبهة والإشتباه لأكفرناه. كذا هذا. ولا يلزم منه قدم تلك الكســـوات، والتعينـــات، والكيفيات، والتشكلات. ألا ترى أن الصورة الجَمَلية حدثت بعد وجود جـــبريل بألوف مؤلفة من السنين، ولم يلزم بحدوثها الآن حدوث جبريل هذا الحين. وقـــد

قدمنا عن إمام الأئمة سراج الأمة الإمام الأعظم رضي الله تعالى عنه التصريحات الجلية بحدوث الحروف. وقال أيضا رضي الله تعالى عنه في وصاياه : الحروف والكاغذ والكتابة كلها مخلوقة، لأنها أفعال العباد، وكلام الله سبحانه وتعالى غير مخلوق. الخ .

والحق أن الحروف بمعنى الأصوات المتقطعة حادثة قطعا. أما أن في الكلام الأزلي حروفا لا من جنس الحروف والأصوات، وهي لا تعاقب فيها، ولا ترتب، ولا تقضي، ولا انصرام فذلك شيء لا علم لنا به، ونستجير بربنا أن نقول على الله ما لا نعلم، وهذا هو الخوض في كنه الصفات الكريمة. وما لنا وله، وقد نهينا عنه، فالنقل الذي في فواتح الرحموت عن العلامة العضد أسدّ وأجود مما نقله عنه السيد.

وإنما قصدنا ههنا ثلاثة أشياء : **الأول**. أن لله تعالى كلاما قديما قائما بذاته، لا هو ولا غيره، هو متكلم به أزلا وأبدا كما هو في علمه. فإن سئلنا عن كيف. قلنا لا ندري ولا نزيد، وغير هذا لا نزيد. وهذا ما خالفَنا فيه إلا القوم الضالون كالمعتزلة والكرامية والرافضة خذلهم الله تعالى.

الثاني. أن ذواتنا، وصفاتنا، وأفعالنا، وأصواتنا، وحروفنا، وكلماتنا، كلها حادثة، لم تشم رائحة القدم. وهذا لم يخالفنا فيه إلا عدة مجانين من جهلة الحنابلة من المتأخرين.

الثالث. أن الذي قرأناه بلساننا، وسمعناه بآذاننا، ووعيناه في

صدورنا، وكتبناه في سطورنا هو القرآن الكريم القديم القائم بربنا، والنازل على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم. كل ذلك حقيقة حقا بلا مجاز مجاز، ولا تعدد، ولا تنوع، ولا اشتراك ....[1]

حدثت المجالي، وتعالى عن الحدوث المتجلّي. هذا هو مذهب أئمتنا السلف الصالحين. وما خالفنا فيه منا إلا أحداث المتكلمين إذ أوردت عليهم المعتزلة أدلة الحدوث كقوله تعال : مَا يَأْتِيْهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّنْ رَّبِّهِمْ مُحْدَثٍ اِلَّا اسْتَمَعُوْهُ وَهُمْ يَلْعَبُوْنَ. إلى غير ذلك مما هو مبسوط في كتب الكلام.

ولم ينقدح في أذهانهم فرق التجلي والمتجلي، فاضطروا إلى ركوب الأسنّة وخلاف الأئمة، وأن يجعلوا لله كلاما حادثا كحديث الخلائق، هو كلامه حقيقة أو مجازا متعارفا تعارف الحقائق. فخرقوا للواحد الأحد عزجلاله كلامين ليبقوا بأحدهما تتريهه تعالى أن تكون له صفة حديثة. ويتخلّصوا بالآخر عن مضيق ألجأهم إليه الطوائف الخبيثة.

أقول : ولم يعلموا **أولا** أن إكفار القائل بخلق القرآن متواتر عن الصحابة الكرام والتابعين العظام، منهم إما منا إمام الأنام، ومن بعدهم من الأئمة الأعلام. عليهم رضوان الملك المنعام. كما ذكرنا نصوص جماعة منهم في كتابنا **"سبحن السبوح عن عيب كذب مقبوح" (١٣٠٧ هـ)** ولعل ما تركنا أكثر، وكيف يجوز هذا مع وضوح عذرهم وظهور تاويلهم أنا لا نحكم بهذا إلا على الكلام اللفظي. بل قد صرح في شرح المقاصد أن هذا هوالمتعارف عند العامة، والقراء، والأصوليين، والفقهاء -

---

(١) **سقط هنا من الأصلي نحو ثلاث كلمات ١٢ محمد أحمد المصباحي**

الخ – فتعين أنهم لم يقولوا إلا بخلق اللفظي الذي أنتم أنفسكم بحدوثه قائلون.

أليس في مواقفكم وشرحها : هذا الذي قالته المعتزلة لا ننكره نحن بل نقول به، ونسميه كلاما لفظيا، ونعترف بحدوثه – الخ – ومثله في المسامرة – بالميم – وغيرها.

وقالا أيضا – أعني الماتن والشارح : ما يقوله المعتزلة في كلام الله تعالى وهو خلق الحروف والأصواف، وكونها حادثة قائمة بغير ذاته تعالى نحن نقول به، ولا نزاع بيننا وبينهم في ذلك -الخ-.

وفي شرح العلامة لعقائد مفتي الثقلين : تحقيق الخلاف بيننا وبينهم يرجع إلى إثبات الكلام النفسي ونفيه، وإلا فنحن لا نقول بقدم الألفاظ والحروف، وهم لا يقولون بحدوث الكلام النفسي. اهـ –

فإذا لم يكن بينكم وبين المعتزلة خلف في مسألة الخلق – أعني خلق ما قالوا بخلقه – ففيم هذا الإكفار؟ بل علام هذا الإنكار؟ جادلوهم على نفي النفسي، ووافقوهم على خلق القرآن كما يقولون به – والعياذ بالله تعالى – بل قد وافقتم وصرحتم، فما لكم تعترفون ثم تنصرفون؟

أما التعلّل بنهيه للإيهام. كيْ، لا تسبق إلى النفسي الأوهام **فأقول** : لا يفيد التفسيق، فضلا عن التضليل، فضلا عن التكفير. ألا ترى إلى قوله في المقاصد : وإجراء صفة الدال على المدلول شائع. مثل سمعت هذا المعنى وقرأته وكتبته – قال في شرحها، هذا جواب آخر لأصحابنا، تقريره أن المراد بالمنزل المقروّ المسموع المكتوب إلى آخر الخواص، هو المعنى القديم. إلا أنه وصف بما هو من صفات الأصوات والحروف الدالة عليه

مجازا، وصفاللمدلول بصفة الدال، كما يقال سمعت هـــذا المعـــنى مـــن فـــلان، وقرأته في بعض الكتب، وكتبته بيدي. اهـــ - فـــإذا جـــاز وصفـــه بصفـــات الحدوث مع إرادة المعنى القديم وذلك على ســبيل التجـــوز، فكيـــف لا يجـــوز وصفه بالخلق مع إرادة اللفظ الحادث وذلك حقيقـــة الحـــق؟ وإن منـــع هـــذا للإيهام فكيف لم يحرم ذلك مع التصريـــح؟

ومن العجب قوله بعده : وهذا ما قال أصحابنـــا أن القـــراءة حادثـــة، أعني أصوات القارئ التي هي من اكتسابه، ويومر بهـــا تـــارة إيجابـــا أوندبـــا، وينهى عنها حينـــا، وكـــذا الكتابـــة أعـــني حركـــات الكـــاتب والأحـــرف المرسومة. وأمـــا المقـــروء بـــالقراءة، المكتـــوب في المصـــاحف، المحفـــوظ في الصدور، المسموع بالآذان فقديم ليس حـــالاًّ في لســـان، ولا في قلـــب، ولا في مصحف. لأن المراد به المعلوم بالقراءة، المفهوم من الخطـــوط ومـــن الأصـــوات المســـموعة، الخ.

أقول : لعمري إن من صعوبة هذا المرمى أنهم كلمـــا سمعـــوا مـــا هـــو قاض بخلاف مزعومهم لم تذهب أذهـــانهم إلا إلى مفهومـــهم، كمـــا علمـــت من حمل القاري حديـــث التجلـــي علـــى التجـوز. ومنـــه هـــذا. فالأئمـــة مصرحون بأن القراءة حادثة والمقـــروء قـــديم، والكتابـــة حادثـــة والمكتـــوب قديم، وسمعنا حادث والمسموع قديم، وحفظنا حـــادث والمحفـــوظ قـــديم - أي إن أفعالنا الحادثة هذه إنما ظهر فيها ما هو قـــديم، فالمجـــالي حادثـــة والمتجلـــي قديم، وهذا هو الحق النـــاصع قطعـــا - و العلامـــة يقـــول : معنـــاه أن هـــذه الأوصاف كلها للحادث حقيقة، وإنما وصف بها القـــديم مجـــازا، فســـبحان الله أين هذا مـــن ذاك.

وثانيا. هذا إمام السنّة الباذل نفسه لرضاء ربه وإعظام كلامه وإرضاء حبيبه - جلّ وعلا، وصلى الله تعالى عليه وسلم - سيدنا الإمام الهمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه جاد بنفسه في تلك المحنة الصمّاء، والبلية العمياء، و لم يرض بأن يوافقهم على ما يدعون إليه. وإنما كانوا يدعون عندكم إلى القول بخلق اللفظي، إذ لم يكونوا يعرفون إلا إياه، بل قداعترفتم أنه المعروف عند العامة والقراء، والأصوليين، والفقهاء. وما كان أولئك إلا من العامة، وما كان أحمد إلا من الفقهاء، فمابالـه بذل مهجته و لم يرض وفاقهم على ما هو الحق عندكم وعنده بزعمكم؟ وكذلك عامة الأئمة الذين امتُحنوا فثبتوا، وقُيِّدوا وكبِّلوا، وضُرِبوا ونُكِّلوا. جزاهم الله تعالى عن الإسلام والمسلمين خير جزاء. ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم. وإنا نعلم قطعا أن لو كنتم مكان أحمد بل مكان أحد منهم لبادرتم إلى الوفاق وترك الشقاق، وها أنتم هؤلاء صرحتم الآن في كتبكم بالوفاق من دون امتهان، فكيف عند شدائد الإمتحان؟ نسأل الله العفو والعافية، وهو المستعان.

وثالثا. هذا أحد عمائد السنّة، ودعائم الدين، الذابّ عن سنن سيد المرسلين صلى الله تعالى وسلم عليه وعليهم أجمعين. الإمام الجليل أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري. عليه رحمة الباري انظروا كيف ابتلي بنيسابور لقوله فيما يعزى إليه إن لفظي بالقرآن مخلوق. قام عليه شيخه الإمام الثقة الجليل محمد الذهلي، والناس من كل جهة وهاجوا وماجوا حتى ألجاوه إلى الخروج منها وترك الإقامة بها. وقال الذهلي : من زعم لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدع لا يجالس ولا يكلم، ومن ذهب بعد هذا

إلى محمد بن إسماعيل فاتهموه فإنه لا يحضر مجلسه إلا من كان على مذهبه. وقال في مجلس آخر: لا يساكنني هذا الرجل في البلد، يعني البخاري، فخشي البخاري على نفسه وسافر، مع أن الذهلي هذا هو الذي وجّه إليه القلوب، ووطّأ له البلاد. إذ سمع بتوجّه البخاري إلى نيسابور قال للملأ حوله وكان نافذ الكلمة فيهم: من أراد أن يستقبل محمد بن إسماعيل غدا فليستقبله فإني أستقبله. فاستقبله هو وعامة علمائها: قال مسلم بن الحجاج: ما رأيت واليا ولا عالما فعل به أهل نيسابور ما فعلوا بمحمد بن إسماعيل، استقبلوه من مرحلتين من البلد أو ثلاث. فكيف يظن بالامام الذهلي وسائر العلماء أنهم للحسد نقضوا ما غزلوا أنكاثا؟ وقد كان تقدم في هذا الأمر الذهلي. إذ قال للناس عند قدوم محمد: لا تسألوه عن شيء من الكلام فإنه إن أجاب بخلاف ما نحن عليه وقع بيننا وبينه، وشمت بنا كل رافضي، وناصبي، وجهمي، ومرجئ بخراسان. قال مسلم: فازدحم الناس على محمد بن إسماعيل حتى امتلأت الدار والسطوح. و معلوم أن الإنسان حريص على ما منع، فسأله بعض الناس عن اللفظ بالقرآن، فقال: أفعالنا مخلوقة، وألفاظنا من أفعالنا، فوقع بين الناس اختلاف. فقال بعضهم قال: لفظي بالقرآن مخلوق، وقال بعضهم لم يقل. حتى وقع ما وقع، وكان أمر الله قدرا مقدورا. ولعمري ما كان في قول البخاري ما يعاب، فإنما أراد التلفظ ولا شك أنه حادث ولكن ابتلي بناس لم يفهموا مرامه، وحملوا على غير المحمل كلامه.

كما وقع منه رحمه الله تعالى و رحمنا به مع إمام الأئمة، كاشف الغمة، مالك الأزِمّة، سراج الأمة، النائل العلم ولو كان بالثريا. أبي حنيفة

النعمان بن ثابت. أنعم الله عيوننا بنعمته، وثبت قلوبنا على مذهبه ومحبته، وروّى قبره الكريم بسحائب الرضوان ريّا. حيث قصر فهم البخاري، عن درك مدارك هذا الإمام حجة الباري. فاعترض عليه بما هو راجع إلى فهمه لا إليه. كما تدين تدان.

غير أن أكبر المنكرين على البخاري شيخه الذهلى. أما البخاري فتلميذ تلميذ تلميذ تلميذ تلميذ الإمام الأعظم. لأنه:

(١) تلمذ على إمام السنّة عصام الإسلام في المحنة أحمد بن حنبل.

(٢) وأحمد تلمذ على عالم قريش، الإمام المطّلبي محمد بن إدريس الشافعي.

(٣) والشافعي تلمذ على الإمام الرباني محمد بن الحسن الشيباني.

(٤) ومحمد تلمذ على قاضي الشرق والغرب الإمام أبي يوسف.

(٥) وأبو يوسف تلمذ على إمام دار الهجرة عالم المدينة مالك.

(٦) ومالك تلمذ على إمام الأئمة، فقيه الأمة أبي حنيفة النعمان رضي الله تعالى عنه وعنهم فالبخاري تلميذ إمامنا في الدرجة السادسة.

(٧) والإمام مسلم تلميذه في الدرجة السابعة. لأنه تلمذ على البخاري، وإن لم يرو عنه في صحيحه.

(٨) والإمام الترمذي تلميذه في الثامنة. تلمذ على مسلم. **وبالجملة** الأئمة الثلاثة وأصحاب الصحاح الستة كلهم من تلاميذه وتلاميذ تلاميذ تلاميذه بدرجات. رحمة الله تعالى عليهم أجمعين.

قال الإمام ابن حجر المكي الشافعي في شرح المشكوة، وعنه نقل في المرقاة في ترجمة الإمام الأعظم رضي الله تعالى عنه : تلمذ له كبار من

الأئمة المجتهدين والعلماء الراسخين عبد الله بن المبارك، والليث بن سعد، والإمام مالك بن أنس. اهـ -

قلت وكذا قاله في الخيرات الحسان وزاد : وناهيك بهؤلاء الأئمة. الخ. وذكر الإمام أبو عمر ابن عبد البر المالكي في كتاب العلم عن الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه قال : سمعت من محمد بن الحسن وقر بغير من العلم. اهـ.

قلت وفي مسند الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه من كتاب البحيرة والسائبة : **أخبرنا** محمد بن الحسن عن يعقوب بن إبراهيم عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : الولاء لحمة كلحمة النسب، لا يباع ولا يوهب.

ومن كتاب الديات والقصاص : **أخبرنا محمد** بن الحسن أخبرنا مالك - الحديث - ثم قال : **أخبرنا** محمد بن الحسن **أنا** إبراهيم بن محمد - الحديث - ثم قال : **أخبرنا** محمد بن الحسن **أنا** قيس بن الربيع الأسدي - الحديث-

ثم قال : **أخبرنا** محمد بن الحسن **أنا محمد** بن يزيد - الحديث - ثم قال : **وبه** عن الزهري - الحديث - هذا.

ولو اتفق للإمام البخاري رحمه الله تعالى أن يراجع فيما اشتبه عليه أمثال الإمام أبي حفص الكبير البخاري، بل صاحب نفسه، ورفيقه في طلب الحديث، ومشاركه في كبار من شيوخه كما في سير أعلام النبلاء

للذهبي ٧ أعني الإمام أبا حفص الصغير البخاري رحمهم الله تعالى لانجلى له الأمر وبان. ولكن ماشاء الله كان. ولسنا ههنا بصدد هذا البيان.

وإنما المقصود أن لو كان مذهبهم حدوث اللفظي كما تقولون فما نفور أولئك الأعلام عن هذا الكلام؟ - ثم البخاري نفسه لما قيل له في ذلك لم يقل إني إنما حكمت بالخلق على اللفظ، وهو حادث عندنا وعندكم، فكان ماذا؟ بل قال لأبي عمرو أحمد بن نصر النيسابوري : يا أبا عمرو احفظ عني من زعم من أهل نيسابور - وعدّد بلاداكثيرة - أني قلت : لفظي بالقرآن مخلوق. فهو كذّاب، فإني لم أقله، إلا أني قلت : أفعال العباد مخلوقة. وقال ايضا رحمه الله تعالى و رحمنابه : حركاتهم، وأصواتهم، واكتسابهم، وكتابتهم مخلوقة. فأما القرآن المبين المثبت في المصاحف، الموعي في القلوب فهو كلام الله غير مخلوق. قال الله تعالى : بَلْ هُوَ ايتٌ بَيِّنتٌ فِىْ صُدُوْرِ الَّذِيْنَ اُوْتُوْا الْعِلْمَ. وقال :

---

٧ نصه فيها في ترجمة الإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن حفص البخاري الشهير بأبي حفص الصغير رحمه الله تعالى : رحل وسمع من أبي الوليد الطيالسي، والحميدي، ويحيى بن مَعين وغيرهم، ورافق البخاري في الطلب مدة. وله كتاب الأهواء والإختلاف، والرد على اللفظية. وكان ثقة، إماما، ورِعا، زاهدا، ربّانيا، صاحب سنّة واتباع، وكان أبوه من كبار تلامذة محمد بن الحسن، انتهت إليه رئاسة الأصحاب ببخارا، وإلى أبي عبد الله هذا، وتفقه عليه أئمة. قال ابن مندة : توفي في رمضان سنة أربع وستين ومائتين. اهـ -١٢-منه.

قال إسحاق بن راهويه : أما الأوعية فمن يشك أنها مخلوقة. اهـ. وهذا هو مذهب السلف الصالحين كما ترى. ولله الحمد.

أقول : وإنما العجب كل العجب أنهم يعترفون بأن هذا مذهب السلف ثم يعدلون عنه ويقولون بملأ فيهم : إن لله كلامين، قديما و حادثا، وإن المكتوب المقروء المسموع المحفوظ حادث قطعا، وإنما القديم شيء غيره، يدل هذا عليه. ثم يتحيرون في وجه الدلالة فيقولون : دلالة اللفظ على المعنى، ويرد عليه الإشكال، فينسلّ بعضهم إلى دلالة الأثر على المؤثر.

ومن تحيرهم أن قال الآمدي في أبكار الأفكار : والحق أن ما أورد من الإشكال على القول باتحاد الكلام (أي عدم كونه في حدذاته متنوّعا إلى الأمر والنهي والإستفهام والخبر والنداء) وعود الاختلاف (أي بالأقسام الخمسة) إلى التعلقات والمتعلقات مشكل، وعسى أن يكون عند غيري حلّه. اهـ.

وقال چلپى : الحق أن الأمر مشكل إذا كان الكلام النفسي عين المدلول الوضعي للكلام اللفظي، أما إذا كان التعبير عن النفسي من قبيل التعبير بالأثر عن المؤثر كما مرفلا إشكال. فتأمل. اهـ.

وقال قبله : الحق أن المفهوم من عامة كلماتهم هو أن النفسي مدلول اللفظي وإن كان لا يخلو عن إشكال. اهـ.

وقال التفتازاني في شرح المقاصد : كلامه تعالى في الأزل لايتصف بالماضي والحال والمستقبل، لعدم الزمان. وإنما يتصف بذلك فيما لا يزال بحسب التعلقات، وحدوث الأزمنة والأوقات، وتحقيق هذا مع القول بأن

الأزلي مدلول اللفظي عسيرجدا، وكـذا القـول بـأن المتصـف بالـمُضِيّ وغيره إنما هو اللفظ الحادث دون المعنى القـديم. اهـــ.

وياليتهم إذ رضوا بالتحير، وإليه صار مـآلهم بـالآخر رضـوا باتبـاع السلف، وإن بقوا متحيرين في فرق التجلـي والمتجلـي، فـإن بـه تنكشـف تلك العقد جميعا. فالمتجلي متعال عن الماضي والحال والإستقبال، وإنمـا كـل ذلك في التجليات والكسـوات.

أقول : وليس عدولهم ههنا عـن قـول السـلف كعـدول متـأخري المفسرين عن مذهب السلف في الآيات المتشابهات. وهو التفويـض. امَنَّـا بـه كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ ربِّنَا. وَمَا يَذَّكَّرُ الاَّ اُولُوْ الْاَلْبَابِ. فإن هـؤلاء لايـاتون بالتـاويل على أنه هو مراد المولى الجليل. وإنما يلجأون إليـه تقريبـا إلى أفـهام العامـة فإنّ بعض الشرأهون من بعض. ومن ابتلي ببليتين اختار أهونهمـا. فـلا يؤثـر هذا في عقد قلوبهـم.

أمّا هنا فالمسألة من أصول الدين، وقد أذعنوا فيـها بمـا يخـالف أئمـة السلف الصالحين، وصرحوا به تصريحا جليا، وشـحنوا بـه كتبـهم حكمـا مقضيا، حتى صار عقيدة السلف نسيا منسيا، بل في ذهن العـوام شـيئا فريّـا، فزلّوا وأزلّوا كثيرا، ثم خلف من بعدهـم خلـف مـن النـاقصين والقـاصرين فخرّوا على مقالهم عميا وصما، فضلّوا وأضلّوا كثـيرا، وهـذا لعمـري هـو الداء العضال، ولا حـول ولا قـوة إلا بـالله المـهيمن المتعـال، نسـأل الله السلامة في كل حـال،

وإنما أطنبنا الكـلام، في هـذا المـرام، لأن المقـام، مزلّـة الأفـهام، ومتعارك الأوهام، حتى زلّت أقدام، ثم ضلّت أقـوام، ومـا العصمـة إلا بـالله

ذي الجلال والإكرام، عليه التوكل وبه الاعتصام، وعلى حبيبنا وآله وصحبه الكرام، أفضل الصلاة وأكمل السلام، إلى أبد الآباد على الدّوام.

والكلام وإن أفضى إلى بعض تطويل، لكن قد أتى بتحصيل جليل. فلايسأمه طالب الحق المبين، كيف وإن المسألة من أصول الدين، وهو أنفع له من معرفة الحكم في فونوغرافيا، وقد تبين بحمد الله بيانا شافيا، لا تجده في غير هذه الرسالة، فاشكر ربك وصلّ وسلّم على صاحب الرسالة، صلى الله تعالى وسلم عليه وعلى آله وصحبه ذوي الجلالة.

وإياك ثم إياك، أن تزول بك قد ماك، فتقع في مهاوي الهلاك، والله يتولّى هداي وهداك، وإذ المرام صعب الملتقى، والجبل وعر المرتقى، فألخّص لك حرفا منتقى، تفرق به بين النَّقاة والنُّقى [٨] فأحسن ما يَحُلّ في المحل عقدة الجهل، هو الحبيب العادي على العدوّ أبي جهل، إذ تجلّى له جبريل في صورة فحل، فكأنّ الناس من اللاحقين ومن سبق، افترقوا فيه على **أربع فِرق** :

فرقة زعمت أن ليس جبريل إلا فحلا عضوضا له ذنَب وسنام، وقوائم أربع وهامة ضخمة من أكبر الهام ولا وجود لجبريل، قبل هذا ..... [٩]

وهؤلاء هم المعتزلة والكرامية والرافضة الخبيثة، قالوا ليس القرآن إلا هذه الأصوات والنقوش الحديثة.

---

٨ النقاة، بالفتح : ما يرمى من الطعام إذا نُقّي؛ وقيل : نقاة كل شيء رديئه إلا التمر فنقاته خياره - اهـ - منه.

٩ سقط هنا من الأصل قدر كلمة أو كلمتين ١٢ محمد أحمد.

وأخرى زعمت أن جبريل ملك مقرب للرحمن، وله هذه الصورة الجملية مذكان، فلم يزل جملا، ولا يزال فحلا.

وهؤلاء هم جهلة المتأخرين ممن قالوا إن هذه الأصوات والنقوش هي القرآن العزيز، وهي قديمة سرمدية، أزلية أبدية.

وأخرى زعمت أن هناك عدة أشخاص يسمون جبريل، يطلق على كل منهم جبريل بالإشتراك اللفظي، أو المعنوي. أو الحقيقة، والمجاز سئول، ورابعهم رجل حَمول [10] وثلاثتهم المشهور. أحدهم ملك رسول، وثانيهم جمل صئول، وثالثهم أعرابي

جميعا على الأول دليل، يتذكر من رآهم الملَكَ الجليل.

وهؤلاء هم أولائك الأحداث من متكلمي أهل السنّة المبجّلة. قالوا إن الله كلامين : قديما، وحادثا يدل عليه دلالة مشكلة. وعلى كليهما يطلق القرآن بأحد الوجوه الثلاثة المفصّلة. -- وأقوالهم جميعا كما ترى، يمجّها العقل السليم بلا مراء.

وهدى الله طائفة فعلموا أن ليس هنا جبريلان ولا مزيد. إنما هو جبريل واحد يتطوّر كيف يشاء ويتصوّر كيف يريد. ولا يحدث بحدوث التطوّرات، ولا يتغير بتغير الكسوات. فالصائل على العدوّ في صورة فحل، والسائل عن الإيمان في صورة غريب، والآتي بالوحي في صورة دحية لم يكن إلا جبريل نفسه يقينا وقطعا، بتّا وجدعا. لا شيء آخر يدل عليه، أو يشير إليه. وتلك الصور تحدث

---

١٠ اي كثير الحلم والتحمل - اهـ - منه

شيئا فشيئا لا وجود لها مذ وجد حبريل، ولا بتبدّلها فيه تبديل. ولا بتعدّدها لــه تعدّد، ولا بتجدّدها له تجدّد.

وهذا كما ترى هو الحق الناصع، والصدق الساطع. لا يميل العقل السليم إلا إليه، ولا يقبل إلا إياه. ولا يُقبل إلا عليه.

وذلك قول أئمّتنا السلف، إن القرآن واحد حقيقي أزلي، وهو المتجلّي في جميع المجالي. ليس على قدمه بحدوثها أثر، ولا على وحدته بكثرتها ضرر، ولا لغيره فيها عين و لا أثر. القراءة، والكتابة، والحفظ،والسمع، والألسن، والبنان، والقلوب والآذان، كلها حوادث عرضة للغيار. والمقروء المكتوب المحفوظ المسموع هو القرآن القديم حقيقة و حقا ليس في الدار غيره ديّار، والعجب أنه لم يحلّ فيها و لم تخل عنه، ولم يتصل بها و لم تَبِنْ منه. وهذا هو السر الذي لا يفهمه إلا العارفون. وَتِلْكَ الْاَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا الاّ الْعلمُوْنَ. - إن من العلم كهيأة المكنون لايعلمه إلا العلماء بالله، فإذا نطقوا به لا ينكره إلا أهل الغِرّة بالله. رواه في مسند الفردوس عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم.

والمسألة وإن كانت من أصعب ما يكون فلم آلُ بحمد الله تعالى جهدا في الإيضاح. حتى آض بعونه تعالى ليلها كنهارها، بل قداستغنيت عن المصباح بالإصباح.

وبالجملة فاحفظ عنّي هذا الحرف المبين، ينفعك يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، أنك إن قلت إن جبريل حدث الآن بحدوث الفحل، أو لم يزل فحلا مذ وُجد فقد ضللت ضلالا مُهينا، وإن قلت إن الفحل لم يكن جبريل، بل شيء آخر عليه دليل . فقد بهتَّ بَهتا مبينا. ولكن قل هو جبريل

قطعا تَصوَّر به، فكذا إن زعمت أن القرآن حدث بحدوث المكتوب أو المقروء، أو لم يزل أصواتا ونقوشا من الأزل فقد أخطأت الحق بلا مرية. وإن زعمت أن المكتوب المقروء ليس كلام الله الأزلي بل شيء غيره يؤدي مؤدّاه فقد أعظمت الفرية. ولكن قل هو القرآن حقا تطوّر به. وهكذا كلما اعتراك شبهة في هذا المجال، فاعرضها على حديث الفحل تنكشف لك جلية الحال. وما التوفيق إلا بالله المهيمن المتعال.

واعلم أني ما كنت كتبت من هذا المبحث العظيم المهم الجليل الأعلى، في المقدمة الثانية إلا إلى عبارة ميزان الشريعة الكبرى. ثم لما شرّفنا بالزيارة نَور حديقة السيادة والطهارة، نُور حدقة الفضل والمهارة. العالم الجليل، والسيد الجميل. ناصر السنّة، كاسر الفتنة، حامي الملّة، ماحي العلّة، أحدالأجلّة، بدر الأهلّة. حبيبنا وصديقنا، وراحة روحنا، وبهجة مهجتنا. الشريف النظيف، اللطيف المنيف، ذو القدر العلي، والفخرا لجلي والنور الملكي، **السيد إسماعيل خليل** الآفندي حافظ كتب الحرم المكي. حفظه الله تعالى، وجعل حرمه يصمده الطالبون من كل فج صمدا، وجعل قلمه سيفا مسلولا لا يرى غير رقاب الوهابية غمدا. آمين. لثلاث بقين، من المحرم الحرام سنة ألف وثلاث مائة وثلاثين، وترجمت له الرسالة بالعربية، وكانت من قبل بالهندية، وبلغت هذه العويصة الأبية، زدت فيها هذه المباحث العلية، فاستحسن السيد لازال بالبها، أن تجعل هذه رسالة بحيالها، فزدت في صدرها خطبة موجزة، ليجعلها من شاء رسالة مفرزة، ويقتصر في المقدمة الثانية على ما كان، ويسمي هذه بلحاظ التاريخ :

أنوار المنان في توحيد القرآن. (١٣٣٠ هـ)

والحمد لله. وهوالمستعان.